

# صفة الكلام وأدلتها من القرآن

يقول بعد ذلك: كلام موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه؛ هكذا أخبر تعالى بأنه كلام موسى والكلام معروف أنه الذي يسمعه المتكلم؛ في قوله تعالى: { وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا } ثم إن الجهمية أنكروا ذلك؛ أنكروا أن يكون الله تعالى متكلماً، فأنكروا أن يكون كلام موسى وأنكروا المحبة، فأنكروا أن يكون يحب عباده أو أن من عباده من أحبيهم، وأنكروا أن يكون اتّخذ إبراهيم خليلاً يعني محبوباً، وأشتهر بذلك الجعد بن درهم وهو الذي قتله خالد القسري في يوم العيد ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله يقول: ولأجل ذا صحي بجعده خالد القسري يوم ذي الحجه القریان إذ قال إبراهيم ليس خليله كلام ولا موسى الكليم الداني شكر الصحبة كل صاحب سنة لله درك من أخي قريان صحي به في يوم العيد بعد ما خطب قال: أيها الناس صحووا قبل الله صحاياكم، فإني مصح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ثم نزل من المنبر وذبحه، جعله أضحية فشكر الصحبة كل صاحب سنة، هذا دليل على أن هؤلاء الذين ينكرون مثل هذه الصفات يصدق عليهم أنهم كفار، وقد كفرا بهم يعني المعزلة والجهمية جمع من العلماء، سرد منهم اللالكائي خمسة من العلماء ذكرهم في كتابه: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" ولذلك يقول ابن القيم في النونية: ولقد تقلد كفراهم خمسون في عشر ..... (خمسون في عشر أي خمسة). ولقد تقلد كفراهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان واللالكائي الإمام حكا عنهم بل حكا الطبراني لا شك أن كفراهم لأجل تقصهم لله تعالى؛ فالله سبحانه وتعالى كلام موسى تكليماً، ذكر أن بعض المعزلة جاءوا إلى أبو عمرو بن العلاء الذي هو أحد القراء أبو عمرو بن العلاء فقالوا له: لعلك تقرأ هذه الآية: "وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا"؛ يريدوا أن يكون موسى هو الذي كلام الله، فقال له أبو عمرو هب أني قرأت هذه الآية كذلك، فكيف تصنع بقى الله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلِمَةً رَّبِّهِ } هل تعرف هذه الآية؟ فبهت ذلك المعزلة يعني: أنه لا يستطيع أن يحرفاها. ثم ذكر شيخ الإسلام أنهم حرفوها تحريفاً معنوياً فقالوا: كلام الله موسى يعني: جرحه، لأن الكلم هو الجرح جرحه باطافير الحكم، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، فيقال: كيف تفعلون بآيات النداء؟ وكيف تفعلون بآيات الكلام؟ قول الله تعالى: { إِنَّ اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } ما قال بتجريحه أو بتكليمه؟ وكذلك آيات النداء: { هَلْ أَنَا حَدِيثٌ مُوسَى إِذْ تَادَاهُ رَبُّهُ } النداء لا يكون إلا بكلام؟ { وَإِذْ تَادَى رَبُّكَ مُوسَى } { وَتَادَيْتَاهُ مِنْ جَائِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّيْتَاهُ نَحْيَا } ؟ فلا يستطيعون أن يحرفوها ذلك. فالله تعالى ناداه وكلمه بكلام أسمعه إياه وفهمه، كلامه صفة ذاتية يعني: تعرفون أن الصفات تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات فعلية. فإذا قيل: صفة البدن هل هي ذاتية أو فعلية؟ ذاتية لأنها ملزمة للذات، وصفة السمع والبصر صفة ذاتية، وكذلك صفة الكلام صفة ذاتية، وأما صفة المحبة، وصفة الرحمة، وصفة الغضب والرضا، وصفة البغض والكرابية فإنها فعلية، الصفة الذاتية هي التي لا تنفك عن الذات بل ملزمة للذات، وأما الصفة الفعلية، فهي التي يفعلها إذا شاء، فإنه يغضب إذا شاء ويرضى إذا شاء، في حديث الشفاعة: { إِنْ رَبِّيْ قدْ غَضَبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مُثْلِهِ وَلَنْ يَغْضِبْ بَعْدَهُ مُثْلِهِ } . فدل على أن الغضب ليس ملزماً للذات، وكذلك الرضا، وكذلك الرحمة، وكذلك بقية الصفات الفعلية؛ فالكلام صفة ذاته، لا خلق من خلقه؛ رد على المعزلة الذين يقولون: إنه مخلوق؛ وذلك لأنهم لما نفوا صفة الكلام لم يجدوا بُدًّا من أن يقولوا: إن القرآن مخلوق، -تعالى الله عن قولهم-.